نهضة السودان الاقتصادية

حديث عن تقدم السودان الاقتصادى والثقافى أفضى به
الدكتور يوسف نحاس بك إلى الصحف السودانية

أما مستقبل السودان الاقتصادى فانه ما يريد أبناء السودان أن يكون . فاذا نفض العامل عنه غبار التواكل الذى يغرى بالكسل واذا عقدت الخناصر على استثمار ما حبت به الطبيعه هذا القطر من كنوز على سطح الأرض وفى جوفها ووجهت الجهود (وقد تكون فى أول الأمر جهادا) — توجيها منظما سديدا تحت كنف ادارة ماهرة على مرافق البلاد فانى أجزم بأن المستقبل الاقتصادى سيكون عظيما يفيض الخيرات على أضعاف أضعاف من يعيشون الآن على أديم هذا القطر ولا يستغلون إلا القليل من خيراته الوفيرة، إن العمل الأولى والأساسى لبلد يريد أن ينهض اقتصاديا هو الزراعة والمجال أمامها هنا لا نهاية له فلا يعوزكم إلا العزيمة الصادقة والتشجيع لتحويل هذه السباسب المترامية الأطراف الى ديباجة خضراء هى النضار الوهاج والماء ميسور توفيره مما يجرى به النيل وما تجود به الأمطار وما قد يستطاع اخراجه باحتفار الآبار ، ناهيك بما يتيسر غرسه من غابات تعطى أجود أنواع الخشب الكبير القيمة السهل التصريف فى مختلف الأقطار المجاورة ، وللغابات منفعة أخرى هى تلطيف الجو واتقاء ضرر الرياح ومن ينظر الى ما قدر بعض ذوى الهمة على الوصول اليه فى هذا المضمار أمثال سعادة السيد عبد الرحمن المهدى وشركة الجزيرة وأبو العلا يوقن أن المجهود الزراعى سيكافأ مكافأة وافية اذا أحيط بالعناية وحسن الخدمة ومن مستلزمات النهضة الزراعية أن تزيد وسائل النقل السريع الرخيص فان حاجة السودان اليه لماسة .

أما مساهمة مصر فى هذا المجهود الذى يحتاج الى أيد عاملة متمرنة لا يزال السودان — وسيبقى ردحا من الزمن — مفتقرا اليها لقلة عدد سكانه فهذه المساهمة فيها كل الخير والبركة للقطرين الشقيقين وانى و إن كنت قد كتبت عام ١٩٣٥ رأيا لا يحبذ هذه المساهمة تحت فى ظروف ذلك الزمن إلا أنى اليوم أعدل رأيى وأهيب بنى وطنى أن يولوا وجوههم شطر السودان لزرع أراضيه البكرية القوية .

وقد تمشت أخيرا فكرة فى مصر ترمى الى تأسيس شركة تهدف الى هذا الغرض و ياحبذا لو نجحت وقام غيرها وغيرها وزالت كل عقبة تعترض هذا التعاضد . وفى خدمة الزراعة أقول إن على السودانيين أن يجعلوا همهم الأول زرع الحبوب بحيث يكفى انتاجه حاجة الأهلين وقد أصبح من غير الجائز أن يستورد السودان مثلا عشرين ألف طن من الدقيق كان ثمنها الذى يدفع الى البلدان الأجنبية قبل الحرب يتراوح بين مائة وستين ومائة وثمانين ألف جنيه كل عام و بعد ذلك — أى بعد أن توفر أرض السودان ما يكفيهما قوتهم الضرورى فلا يكونون تحت رحمة الغير للحصول عليه يستحسن أن يسعوا الى استخراج حاجتهم الأخرى

فيجربوا زرع القصب ليصنعوا منه السكر الذى كانوا يستوردون منه قبل هذه الحرب حوالى خمسة وثلاثين الف طن كان ثمنها ستماية جنيه . ولا أشك فى أن بالسودان أراضى تصلح لزرع القصب كما قد تصلح أيضا لزرع القنب الذى يستعمل فى صنع الأكياس والزكايب ففى هذه الناحية مجال فسيح جدا لانتفاع البلاد، إذ فضلا عن أن السودان كان يشترى خيشا من الخارج قبل الحرب بما قيمته ماية وعشرون ألف جنيه فإنه يجد فى مصر سوقا عظيمة لكل مقدار يتسنى له تصديره من هذه المصنوعات .

إنى قد لمست فى زيارتى هذه للسودان تحمسا كبيرا لتشييد صرح الصناعة فى هذا القطر، وقد نهض رجال من ذوى الحمية والإقدام لإنشاء مصانع للزجاج والغزل وما إليهما، ولا يسعنى إلا الترحيب بهذه الروح الوثابة مع تحفظ أراه ضروريا وحيطة لا بد منها ، حتى لا يكون حبوط بعض المشروعات — لا سمح الله — مثبطا للعزائم .

فإذا كان السودان قطرا يقدر أن ينافس غيره من جهة رخص اليد العاملة فان هذا الركن ليس الوحيد الذى يراعى فى الصناعات ، بل إن أهم أركانها المصنوعات وتوفر الخامات والآلات والمعدات والحماية لكل صناعة ما تزال فى المهد إلى أن تترعرع . لذلك كانت الطفرة محفوفة بأشد المخاطر وخصوصا فى الظروف الراهنة . وفى رأيى أن يوجه التفكير إلى الصناعات الزراعية المتوافرة مواداً فى البلاد، مثل طحن الحبوب وحلج القطن وتجفيف الفاكهة وصنع الصابون . والذى أراه إيثاره على سواه هو صنع الدمور الذى يكتسى به سواد الأمة . وكانت اليابان تبيع السودان منه قبل الحرب ما تربى قيمته على نصف مليون من الجنيهات سنويا، وبعده الدبلان، وكان المستورد منه قبل الحرب يساوى نحو ربع مليون جنيه على أن قيمة جميع الأصناف التى أوردتها قد زادت الآن ثلاثة أضعاف على الأقل، ناهيك بما يصادفه المرء من العناء للحصول عليها .

وفى موضوع الصناعة لى كلمة ختامية لا بد من قولها ، وهى أن الدعاية من مستلزمات نجاحها ، كما أن الاستعانة بالاخصائيين الأجانب ضرورة لا بد منها لتحقيق النجاح إلى أن يستطيع السودانيون أنفسهم التخصص فيه وإجادة العمل الفنى .

أما سؤالكم عن رأيى فى المستوى الثقافى العام فى السودان فإنكم جئتم لى به فرصة لأبدأ إعجابى العظيم لما شهدته من تقدم فى هذه الناحية المباركة بين عام ١٩٣٥ وهو الذى زرت فيه السودان للمرة الأولى وعامنا هذا، ولم يقل عن هذا إعجابى بما شهدته من تعطش أهل السودان لتعليم أولادهم ، وإنى أستبشر أجمل الاستبشار لما أراه من مناصرة حكومة السودان الرشيدة لهذه النهضة ، وبهذا المعهد الفخم الأنيق الذى تشيده الآن وزارة المعارف المصرية لتوسيع مدرسة فاروق الأول، ويسرنى المصارحة بأن هذه المدرسة على حداثة سنها قد بلغت فى مدى عام واحد من النجاح ما جاوز فيه المتفائلين، ومتى تمت عمارتها فى وقت قريب إن شاء الله، وتهيأت لها أسباب السير الطبيعى فى الكمال فإنها ستكون فى مقدمة مدارسنا المصرية الثانوية نظاما وتعليما وحسن إنتاج .